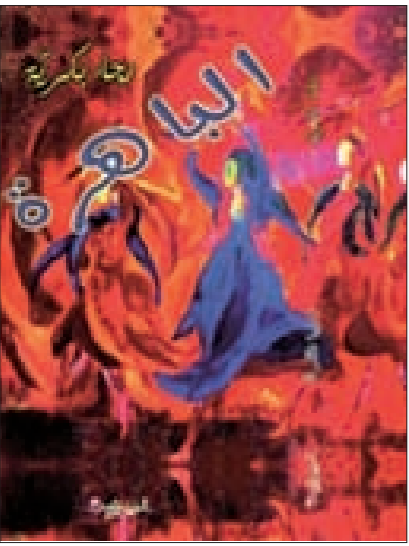


«الباهرة» مجموعة قصصية لرجاء بكريّة



صدرت لدى الجندي للطباعة والنشر، القدس، باقة قصصية جديدة لرجاء بكريّة عنوانها «الباهرة»، مزدانة بحبرها وأحمرها. وعليها علقت الكاتبة في حواراتها: «إصبع سادسة تقود نساء الباهرة لإرتطام حاد، بواقعهن الاجتماعي، والسياسي. واقع معيّن بالقهر، ويؤذي لنزف نفسي حاد. نزف تمسّي دسائس في قاع المعاور التي يرشّتها القهر ما بعد الألم بقليل. والمحجف في دوائر مَعاناتها تلك، أنهما جِلاَدان، الرّجل، والاحتلال مزَامنان».

«الباهرة»، إصدار خامس لرجاء بكريّة بعد «مزامير لليلول» و«عواء ناكرة»، و«الصدوقة» و«امراة الرسالة». والجدير ذكره أنّ قصة «الصدوقة» الواردة في المجموعة بصوغ جديد حازت جائزة الأدب النسوي لنساء حوض البحر المتوسط في مارسيليا، فرنسا، 1995. وأنجز لوحة الغلاف الروائي والتشكيلي مروان عبد العال.

محاور السرد تحكّمها أصوات نساء يعشن الحبّ والحرب. الاحتضان والاحتقان على حدّ القبول شأن الرفض. متمرّذات، قاهرات ومقهورات في الوقت ذاته. نموذج تقليدي لحكاية المرأة الإلّية عامة في علاقتها المركبة بالرجل، والمختلة حيناً آخر، بين الحقّ المفروض بامتلاكها ومصادرة حرياتها، وحقها المفترض في مقاومته. لكن حين تضاف إلى محاور الصراع الاجتماعي مقاومتها دفاعاً عن هويّتها كعقلية في دولة محكومة بالاحتلال يأخذ حضورها منحى أشدّ عنفاً وقهراً، فدولة اليهود تُشرّع احتكار حقّ المواطنة لليهوديتها على حساب هويّة تاريخيّة تستلب بلا آخر في فلسطين الـ 48 شأنها في الـ 67.

تبدو «الباهرة» كوجه نسائي محوري في المجموعة النموذج الأعمق وجعا بين سائر الوجود النسائيّة المتداخلة في النصوص والحوادث. نموذج يعرض لعلاقة مزدوجة بين امرأة تقاتل لحقها في امتلاك أوثانها وحضورها الاجتماعي أمام سلطة الرّجل، وامراة تقاتل لهويّتها القوميّة أمام سلطة الحاكم ويطعشه.

عيناان	على قسماات الوجه المسطور
10	عبد الإله واحّد عيد وعيدك ألف وألف تزيّد
11	حلوة الكلباح اقفيها كلّ صباح أقرأ حبا في عينها أقرأ حزنا في عينها خذني يا صمّت الوقت إليها
12	ومضّت من أعماق الذات النشوى فاتنة الأيام الأولى!
13	أحبّ حديثك قبل النوم وبعد النوم أحبّ ما يجوز وما لا يجوز بشهر الصوم
14	عيناان الناظر إليها يسرّ والمتأمّلهما لا يضرّ
15	فيهما قدرة الجذب والاحتواء الدافئ الأليف...
16	لما لو أسّمي! على ذلك، وبذلك أقسم: بأنّي كاظم الغيظ!
الموقّد	أحتطبّ الوجّد المُترمد في ذاكرة الأمد الغابر لعلني ألقا بوقدة تذكّر أين... وكيفما... معاً كنا... أولم نكنّ... سيّان!
17	يا هبة الخلاق البرد قارس يلسع العظّم وأنت المتوارية من حين أين... من يعلم...! أتدثر بعباءة بالكاد تدفئ أزيل ما على الجمر من رماذ
18	من وجهها تسطع شمس لعل ما في الموقد يكفي لدفع ليلة من ألف ليلة ولكنه... لا!
19	أتلو لمراك الصلاة وأعد للقيام النذورا
20	أبي حلا من حلاك الأجل أنا نفسي أسأل؟
21	على كم ألف من المعالم اندثرت ذوالجلال بقدها أحسن التجويدا
22	تجلي جلال الشعر في قدها وذو الجلال في وجهها تجسّد نورا
23	يوسف عادلة

تأملات في أعمال الفنان الأردني مهند سهيل قسوس إبداع يقاوم التغريب والاستلاب ويحرس الذاكرة والوعي بعناد



علىه، أو يسعى إلى تغييره، أو يستهدف تحطيمه كاملاً. تبقى جميعها مشدودة إلى مرجعيتها الحاسمة، أي الواقع، وإلا ما وجدت. لذلك فإن كل نص أو منتج ثقافي هو في الوقت ذاته منتج اجتماعي. كان السؤال المفتاحي الأول الذي نهض في وجهي يتحدّثني وأنا أتأمل أعمال مهند هو: ما الذي يلح عليه مهند قسوس في أعماله الإبداعية وبإصرار يصل إلى حد العناد، ويتغذّية معارفه بتفاصيل الماضي والحاضر، وهو يتابع بصبر ودقة وصمت ما يدور حوله. إنه ابن الواقع بامتياز، يسبح في سياقات الحياة اليومية وضجيجها وصخبها في الأردن وغيرها. وحتى في المعنى الاجتماعي الضيق الكيمياء، دور وتأثير في أعمال مهند الفنية، أكثر بكثير منه يعتقد البعض، فعلم الكيمياء يؤسس ويعمق ويشدّد الوعي حيال مفهوم الجوهر والتغير والتفاعل والترابط، وبالتالي التحليل والتركيب وتوليد الجديد النوعي من العناصر والمركبات الانهائية، هذا كله يستند إلى وعي مرفق، فإح وعيق، في قلب دوراً فاعلاً في مقاربة المعادلات الاجتماعية والفلسفية للحماعات البشرية (اقصد جدال فلسفة العلوم) وبالضرورة في تجليات ذلك كله في الحقل الإبداعية، بما فيها الفن التشكيلي. فمرجع العلوم والفنون جميعها، ونقطة الأصل لها دائماً، هو الواقع. مهما شط الخيال وجمج. إنه يبقى في مختلف الأحوال مشدوداً إلى الواقع. رغم جميع محاولات المدرسة السوربالية، على سبيل المثال، والإيقال في الغرائبية والخيال، إلا أنها لم تستطع ولن تستطيع التحرر من الواقع. تحاول فحسب الذهاب بالواقع نحو الحدود القصوى وغير المألوفة، كان ترسم غيمة ذات عيناان أو شجرة ذات يدين. إذن هي في النهاية تتمثل الواقع عن طريق التمرد عليه إنما بطريقة غير عقلانية، ذلك أنّ مختلف الثقافات والمنتجات الأدبي، سواء ذاك الذي يعمل لتثبيت الواقع الاجتماعي كما هو

والتاريخ من هنا، أي من فلسطين، لتصل إلى قلب عمان وجبال الكرك وأعماق البتراء ونبيضا، وصولاً إلى ما هو أبعد من ذلك، أي بوتقتنا العربية بكامل امتداداتها الحضارية الموعلة في الماضي والجغرافيا والذاكرة. بحسب ما علمت وفهمت، فإن مهند شخصية حاملة وصارمة وصادقة مع ذاتها ومحيطها. إنه فطعم وشيخ برومانسية طاغية لكنها عميقة وهادئة. منشغل بالتاريخ وتغذّية معارفه بتفاصيل الماضي والحاضر، وهو يتابع بصبر ودقة وصمت ما يدور حوله. إنه ابن الواقع بامتياز، يسبح في سياقات الحياة اليومية وضجيجها وصخبها في الأردن وغيرها. وحتى في المعنى الاجتماعي الضيق الكيمياء، دور وتأثير في أعمال مهند الفنية، أكثر بكثير منه يعتقد البعض، فعلم الكيمياء يؤسس ويعمق ويشدّد الوعي حيال مفهوم الجوهر والتغير والتفاعل والترابط، وبالتالي التحليل والتركيب وتوليد الجديد النوعي من العناصر والمركبات الانهائية، هذا كله يستند إلى وعي مرفق، فإح وعيق، في قلب دوراً فاعلاً في مقاربة المعادلات الاجتماعية والفلسفية للحماعات البشرية (اقصد جدال فلسفة العلوم) وبالضرورة في تجليات ذلك كله في الحقل الإبداعية، بما فيها الفن التشكيلي. فمرجع العلوم والفنون جميعها، ونقطة الأصل لها دائماً، هو الواقع. مهما شط الخيال وجمج. إنه يبقى في مختلف الأحوال مشدوداً إلى الواقع. رغم جميع محاولات المدرسة السوربالية، على سبيل المثال، والإيقال في الغرائبية والخيال، إلا أنها لم تستطع ولن تستطيع التحرر من الواقع. تحاول فحسب الذهاب بالواقع نحو الحدود القصوى وغير المألوفة، كان ترسم غيمة ذات عيناان أو شجرة ذات يدين. إذن هي في النهاية تتمثل الواقع عن طريق التمرد عليه إنما بطريقة غير عقلانية، ذلك أنّ مختلف الثقافات والمنتجات الأدبي، سواء ذاك الذي يعمل لتثبيت الواقع الاجتماعي كما هو



نصّار إبراهيم
«أن كل جماعة اجتماعية تظهر إلى حيز الوجود، تخلق معها عضواً فئة أو أكثر من المثقفين، تمنحها التجانس والوعي بوظيفتها. لا في الميدان الاقتصادي وحده، بل في الميدان الاجتماعي والسياسي أيضاً» («غرامشي»).

بهودء وصمت، برفق وأناة، رحلت أتأمل مجموعة من اللوحات التشكيلية من إبداع الفنان الأردني مهند سهيل قسوس. وكلما استغرقت فيها، وفي فضاءها وتقاطعاتها ونبيضا، كانت تتكشف أبعادها المدهشة والعميقة. هي مجموعة من «الرسايات» أو «النصوص» أو «القصائد» التشكيلية الكثيفة، أن جاز التعبير، التي سأحاول في هذه المقالة أن أسك بتفاصيلها وأبعادها وألوانها وظلالها، وطلال ظلالها.

الفنان الذي أبداع هذا الجمال يقيم هناك، ليس بعيداً عني... وليس قريباً. إنه الفنان التشكيلي الأردني مهند سهيل قسوس. هو لا يعرف، وقد لا يتوقع أنني منذ أيام وأنا أأحور روحه وأحاسيسه ووعيه وذاكرته. أحاول أن أصل إلى تلك الأبعاد التي يجاهد مهند بكامل مشاعره ووعيه كفتان أن يجعلنا ننظر إليها ونراها بالروح نفسها التي يراها بها ويجسدها في أعماله المستوحاة من التاريخ والذاكرة والتراث والواقع، أو من النصوص والحياة الشعبية. بل كاني به يهيمس لذاته وهو يقاوم بريشته: ليس بالضرورة أن يروا أو أن يشعروا بما أشعر به تماماً. فقط ليحرك شيء عميق في داخلهم، ومن الزاوية التي يريدون وتسايسهم. فقط لتتحرك ذاكرة أو خيط من وعي واحترام وحنين وحساس بالإنتماء، فهذا يكفني. لذلك فإن من واجبي، ومن البداية، التويه والتوضيح بأنني لست فنّاناً أو نادياً متخصصاً في الفن التشكيلي، وما أحاول القيام به في هذه المقالة ليس عملية نقد أو تقييم أو حكم، بل عملية تفاعل تتحرك من حيث المبدأ يدافع أو حافز عميق مشحون بالدهشة والتقدير لمحاورة الألوان والتفاعل ثقافياً من أعماق مهند قسوس وما يريد قوله لنا عبر أعماله الفنية العديدة.

بكلمات أخرى، إن خط الانطلاق الذي سالتزم به في هذه القراءة ليس مناقشة الأسلوب الفني أو المدرسة التي يتبعها مهند في إبداعه، أو التقنيات التي يستخدمها، فهذان حقل وميدان ليسا من شأنني، لا استخفافاً، بل أولاً بسبب احترامي القيام به في هذه المقالة ليس عملية نقد أو تقييم أو حكم، بل عملية تفاعل تتحرك من حيث المبدأ يدافع أو حافز عميق مشحون بالدهشة والتقدير لمحاورة الألوان والتفاعل ثقافياً من أعماق مهند قسوس وما يريد قوله لنا عبر أعماله الفنية العديدة.

بكلمات أخرى، إن خط الانطلاق الذي سالتزم به في هذه القراءة ليس مناقشة الأسلوب الفني أو المدرسة التي يتبعها مهند في إبداعه، أو التقنيات التي يستخدمها، فهذان حقل وميدان ليسا من شأنني، لا استخفافاً، بل أولاً بسبب احترامي القيام به في هذه المقالة ليس عملية نقد أو تقييم أو حكم، بل عملية تفاعل تتحرك من حيث المبدأ يدافع أو حافز عميق مشحون بالدهشة والتقدير لمحاورة الألوان والتفاعل ثقافياً من أعماق مهند قسوس وما يريد قوله لنا عبر أعماله الفنية العديدة.

بكلمات أخرى، إن خط الانطلاق الذي سالتزم به في هذه القراءة ليس مناقشة الأسلوب الفني أو المدرسة التي يتبعها مهند في إبداعه، أو التقنيات التي يستخدمها، فهذان حقل وميدان ليسا من شأنني، لا استخفافاً، بل أولاً بسبب احترامي القيام به في هذه المقالة ليس عملية نقد أو تقييم أو حكم، بل عملية تفاعل تتحرك من حيث المبدأ يدافع أو حافز عميق مشحون بالدهشة والتقدير لمحاورة الألوان والتفاعل ثقافياً من أعماق مهند قسوس وما يريد قوله لنا عبر أعماله الفنية العديدة.

بكلمات أخرى، إن خط الانطلاق الذي سالتزم به في هذه القراءة ليس مناقشة الأسلوب الفني أو المدرسة التي يتبعها مهند في إبداعه، أو التقنيات التي يستخدمها، فهذان حقل وميدان ليسا من شأنني، لا استخفافاً، بل أولاً بسبب احترامي القيام به في هذه المقالة ليس عملية نقد أو تقييم أو حكم، بل عملية تفاعل تتحرك من حيث المبدأ يدافع أو حافز عميق مشحون بالدهشة والتقدير لمحاورة الألوان والتفاعل ثقافياً من أعماق مهند قسوس وما يريد قوله لنا عبر أعماله الفنية العديدة.



بكلمات أخرى، إن خط الانطلاق الذي سالتزم به في هذه القراءة ليس مناقشة الأسلوب الفني أو المدرسة التي يتبعها مهند في إبداعه، أو التقنيات التي يستخدمها، فهذان حقل وميدان ليسا من شأنني، لا استخفافاً، بل أولاً بسبب احترامي القيام به في هذه المقالة ليس عملية نقد أو تقييم أو حكم، بل عملية تفاعل تتحرك من حيث المبدأ يدافع أو حافز عميق مشحون بالدهشة والتقدير لمحاورة الألوان والتفاعل ثقافياً من أعماق مهند قسوس وما يريد قوله لنا عبر أعماله الفنية العديدة.

بكلمات أخرى، إن خط الانطلاق الذي سالتزم به في هذه القراءة ليس مناقشة الأسلوب الفني أو المدرسة التي يتبعها مهند في إبداعه، أو التقنيات التي يستخدمها، فهذان حقل وميدان ليسا من شأنني، لا استخفافاً، بل أولاً بسبب احترامي القيام به في هذه المقالة ليس عملية نقد أو تقييم أو حكم، بل عملية تفاعل تتحرك من حيث المبدأ يدافع أو حافز عميق مشحون بالدهشة والتقدير لمحاورة الألوان والتفاعل ثقافياً من أعماق مهند قسوس وما يريد قوله لنا عبر أعماله الفنية العديدة.

بكلمات أخرى، إن خط الانطلاق الذي سالتزم به في هذه القراءة ليس مناقشة الأسلوب الفني أو المدرسة التي يتبعها مهند في إبداعه، أو التقنيات التي يستخدمها، فهذان حقل وميدان ليسا من شأنني، لا استخفافاً، بل أولاً بسبب احترامي القيام به في هذه المقالة ليس عملية نقد أو تقييم أو حكم، بل عملية تفاعل تتحرك من حيث المبدأ يدافع أو حافز عميق مشحون بالدهشة والتقدير لمحاورة الألوان والتفاعل ثقافياً من أعماق مهند قسوس وما يريد قوله لنا عبر أعماله الفنية العديدة.

بكلمات أخرى، إن خط الانطلاق الذي سالتزم به في هذه القراءة ليس مناقشة الأسلوب الفني أو المدرسة التي يتبعها مهند في إبداعه، أو التقنيات التي يستخدمها، فهذان حقل وميدان ليسا من شأنني، لا استخفافاً، بل أولاً بسبب احترامي القيام به في هذه المقالة ليس عملية نقد أو تقييم أو حكم، بل عملية تفاعل تتحرك من حيث المبدأ يدافع أو حافز عميق مشحون بالدهشة والتقدير لمحاورة الألوان والتفاعل ثقافياً من أعماق مهند قسوس وما يريد قوله لنا عبر أعماله الفنية العديدة.

بكلمات أخرى، إن خط الانطلاق الذي سالتزم به في هذه القراءة ليس مناقشة الأسلوب الفني أو المدرسة التي يتبعها مهند في إبداعه، أو التقنيات التي يستخدمها، فهذان حقل وميدان ليسا من شأنني، لا استخفافاً، بل أولاً بسبب احترامي القيام به في هذه المقالة ليس عملية نقد أو تقييم أو حكم، بل عملية تفاعل تتحرك من حيث المبدأ يدافع أو حافز عميق مشحون بالدهشة والتقدير لمحاورة الألوان والتفاعل ثقافياً من أعماق مهند قسوس وما يريد قوله لنا عبر أعماله الفنية العديدة.

بكلمات أخرى، إن خط الانطلاق الذي سالتزم به في هذه القراءة ليس مناقشة الأسلوب الفني أو المدرسة التي يتبعها مهند في إبداعه، أو التقنيات التي يستخدمها، فهذان حقل وميدان ليسا من شأنني، لا استخفافاً، بل أولاً بسبب احترامي القيام به في هذه المقالة ليس عملية نقد أو تقييم أو حكم، بل عملية تفاعل تتحرك من حيث المبدأ يدافع أو حافز عميق مشحون بالدهشة والتقدير لمحاورة الألوان والتفاعل ثقافياً من أعماق مهند قسوس وما يريد قوله لنا عبر أعماله الفنية العديدة.

(يتبع جزء ثانٍ)